مجلة جامعة الملك سعود، م ٧، الآداب (١)، ص ص ٧٥-١١١ (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).

حلية النساء في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم: دراسة مستمدة من مصادر الحديث النبوي الشريف

محمد بن فارس الجميل
أستاذ مشارك، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود،
الرياض، المملكة العربية السعودية

(ورد بتاريخ ١٣/ ١/ ١٤١٤هـ، وقبل للنشر بتاريخ ٢٣/ ٦/ ١٤١٤هـ)

ملخص البحث. الغرض من هذه الدراسة هو إلقاء الضوء على حلية النساء المستخدمة في عصر النبي ﷺ، وذلك من أجل رسم صورة تقريبية لبعض نواحي الحياة الاجتماعية في ذلك الوقت، وهذا بدوره سيساعد المرء على معرفة الوضع المادي للناس آنذاك. وكذلك فإن معرفة أثر الإسلام في إقبال النساء على اقتناء الحلية من عدمه هو أحد اهتمامات هذه الدراسة.

والحلية هنا مصنفة إلى مجموعات حسب استخدامها:

المجموعة الأولى: حلية الأذن

المجموعة الثانية: حلية الجيد والصدر

المجموعة الثالثة: حلية اليد

المجموعة الرابعة: حلية القدم

المجموعة الخامسة: أنواع متفرقة.

الغرض من هذه الدراسة هو إلقاء الضوء على حلية النساء المعروفة في عصر الرسول ﷺ، وذلك من أجل رسم صورة تقريبية لبعض نواحي الحياة الاجتماعية في ذلك العصر. وما من شك في أن معرفة الحلي السائدة في ذلك الوقت وأنواعها، سواء كانت ذهبية أم فضية أم سواها، سيساعد المرء على تصور الوضع المادي للناس آنذاك، إضافة إلى التعرف على أثر الدين في إقبال النساء على اقتناء الحلية من عدمه. أما المصادر الأساسية التي ستكون محور

هذه الدراسة، فهي كتب السنّة التسعة[1] الواردة في *المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي*. ووقف الدراسة على هذه المصادر بعينها قد يساعد الباحث على حصر مادة البحث والحيلولة دون تشعبها. وقد وقع اختيار مصادر الحديث النبوي لدراسة هذا الموضوع بالذات لأنه ـ حسب علمي ـ لم يسبق أن استخدِمت لهذا الغرض من قبل. وفي غالب الظن أنها تحوي في طياتها مادة علمية خصبة يجدر التعرف عليها عن كثب، حيث إن الكثير من المهتمين بالتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لم يسبق لهم أن استخدموا مصادر الحديث النبوي الشريف لاستكشاف تلك الفترة من منظور حضاري، لهذا فإن الدارس يأمل من هذه الدراسة أن تكون حافزا لذوي الاهتمام بهذا الجانب لتأصيل دراساتهم الحضارية المتعلقة بتلك الفترة، وذلك بالعودة إلى محاولة اكتشاف كنوز السنة النبوية الشريفة وما تحويه من مادة علمية ضخمة لا تزال حبيسة في بطون مصادرها.

ولا ريب في أن تلك المصادر بمثابة المرآة التي تعكس الكثير من جوانب الحياة الاجتماعية في أيام الرسول ﷺ، التي من ضمن مظاهرها حلية النساء.

ولأهمية الحلية بالنسبة للناس فقد أشار إليها القرآن الكريم في مواضع عدة منها قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ﴾ سورة الرعد، آية ١٧. وقوله: ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ سورة النحل، آية ١٤. وقوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ سورة الزخرف، آية ١٨. ومن أجل التعريف بالأنواع المختلفة للحلية فسيكون المعتمد في ذلك معاجم اللغة المشهورة، حيث نسوق التعريف اللغوي بكل مادة على حدة، يلي ذلك الحديث عنها وفق ما تقدمه المصادر من معلومات. ولتسهيل التعرف على وظائف تلك الحلي ستصنف إلى مجموعات حسب استخدامها:

---

(١) الكتب التسعة هي: *الموطأ*، للإمام مالك (ت ١٧٩هـ)؛ *المسند*، للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)؛ سنن *الدارمي*، للدارمي (ت ٢٥٥هـ)؛ صحيح *البخاري*، للإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ)؛ صحيح مسلم، للإمام مسلم (ت ٢٦١هـ)؛ سنن *ابن ماجه*، لابن ماجه (ت ٢٧٥هـ)؛ سنن *أبي داود*، لأبي داود (ت ٢٧٥هـ)؛ سنن *الترمذي*، للترمذي (ت ٢٧٩هـ)؛ سنن *النسائي*، للنسائي (ت ٣٠٣هـ).

المجموعة الأولى: حلية الأذن

المجموعة الثانية: حلية الجيد والصدر

المجموعة الثالثة: حلية اليد

المجموعة الرابعة: حلية القدم

المجموعة الخامسة: أنواع متفرقة.

والحَلْيُ حسب التعريف اللغوي، «كل حلية حَليت به امرأة أو سيفا أو نحوه والجميع حُليّ. . . ويقال: تحلت المرأة إذا اتخذت حُليًا أو لبسته.»[٢] وفي تعريف يبدو أكثر إيضاحا، الحَليُ: «اسم لكل ما يُتزيَّن به من مصاغ الذهب أو الفضة، والجمع حُليٌّ بالضم والكسر. وجمع الحلية حِلَى مثل لِحْيَة ولِحىً، وربما ضم.»[٣] والحَلْيُ: تكون أيضا من مصوغ المعدنيات أو الحجارة؛ قال:

كأنها من حُسنٍ وشارة		والحَلْي حَلْي التبر والحجارة[٤]

وقبل الحديث عن الحلي فإنه يحسن بنا التعرف على موقف الرسول ﷺ من الحلية، فمن بعض النصوص يظهر أنه ﷺ ينفر من حلية الذهب ويحث النساء ويرغبهن في حلية الفضة، فقد جاء عنه قوله: «يا معشر النساء أما لكن في الفضة ما تحلين به، أما أنه ليس منكن امرأة تحلى ذهبا تظهره إلا عذبت به.»[٥]

---

(٢) محمد بن أحمد الأزهري، *تهذيب اللغة*، تحقيق علي حسن هلالي ومراجعة محمد النجار (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت.)، جـ٥، ص ص٢٣٥-٢٣٦.

(٣) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير، *النهاية في غريب الحديث والأثر*، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي (بيروت: دار الفكر، د. ت.)، جـ١، ص٤٣٥.

(٤) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، *لسان العرب* (بيروت: دار صادر، د.ت.) جـ٤، ص ص١٩٤-١٩٥.

(٥) سليمان بن الأشعث، أبو داود، سنن *أبي داود*، طبعة محمد محيي الدين عبدالحميد (استانبول: المكتبة الإسلامية، د. ت.)، جـ٤، ص٩٣؛ أحمد بن شعيب النسائي، سنن *النسائي*، بشرح السيوطي، وحاشية السندي، تحقيق عبدالفتاح أبو غده، ط٢ (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩هـ)، جـ٨، ص١٥٧.

وجاء عن أبي هريرة أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله طوق من ذهب، قال: طوق من نار. قالت: يا رسول الله سواران من ذهب. قال: سواران من نار. قالت: قرطان من ذهب. قال: قرطان من نار. قال: وكان عليها سوار من ذهب فرمت به. فقال: ما يمنع إحداكن أن تصنع قرطين من فضة ثم تصفرهما بالزعفران.»(٦)

وفي مناسبة ثانية قال رسول الله ﷺ لإحدى أزواجه: «ما ضر إحداكن لو جعلت خرصا من ورق (فضة) ثم جعلته بزعفران.»(٧) ويظهر من بعض الأحاديث النبوية أن النبي ﷺ في فترة لاحقة، رخص للنساء دون الرجال باتخاذ حلية الذهب، وبهذا الترخيص نسخت الأحاديث السابقة التي تنهي النساء عن حلية الذهب.(٨) فقد جاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: أخذ رسول الله ﷺ حريرا بشماله وذهبا بيمينه، ثم رفع بهما يديه فقال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم.»(٩)

ومع زوال الحرج في استخدام النساء لحلية الذهب فقد كان لنساء النبي ﷺ في بعض الأحايين صائغ خاص، يقول أبورافع: «كنت أصوغ لأزواج النبي ﷺ فحدثنني أنهن سمعن رسول الله ﷺ يقول: «الذهب بالذهب».»(١٠)

---

(٦) أحمد بن حنبل، *المسند* (القاهرة: مؤسسة قرطبة، د. ت.)، جـ٢، ص٤٤٠؛ النسائي، سنن، جـ٨، ص١٥٩.

(٧) ابن حنبل، *المسند*، جـ٦، ص٣١٥.

(٨) انظر: النسائي، سنن، جـ٨، ص١٥٧ أسفل الحاشية.

(٩) محمد بن يزيد القزويني، ابن ماجه، *سنن ابن ماجه*، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي (بيروت: المكتبة العلمية، د. ت.)، جـ٢، ص ص١١٨٩، ١١٩٠؛ وانظر: النسائي، سنن، جـ٨، ص١٥٧ أسفل الحاشية.

(١٠) ابن حنبل، *المسند*، جـ٥، ص٢٧١؛ أبو رافع: تشير المصادر المتوافرة لدينا إلى أكثر من واحد من موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يكنى بأبي رافع. أحدهم: أبو رافع القبطي، والآخر أبو رافع مجهول الاسم، كان ولاؤه في آل العاص ثم صار من موالي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وليس في ترجمة كل منهم ما يدل على احترافهم للصياغة. انظر: محمد بن سعد، *الطبقات الكبرى* تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار صادر، د. ت.)، جـ٤، ص ص٧٣-٧٤؛ يوسف بن=

وانسجاما مع الترخيص للنساء بحلية الذهب فإن الصحابي الورع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما كان يحلي بناته وجواريه الذهب، ثم لا يخرج من حليهن الزكاة.[١١] كما أن عائشة زوج النبي ﷺ كانت تُلبس بنات أخيها، يتامى في حجرها لهن الحلي فلا تخرج من حليهن الزكاة.[١٢]

وفي الجو المفعم بعاطفة حب الخير والتقرب إلى الله صارت بعض النساء يتصدقن بحليهن، فقد جاءت خيرة امرأة كعب بن مالك إلى رسول الله ﷺ بحلي لها، فقال: «إني تصدقت بهذا.» فقبله رسول الله ﷺ منها. والأمثلة من هذا النوع كثيرة.[١٣]

وبعد هذه المقدمة عن موقف الرسول ﷺ من الحلية، وخاصة حلية الذهب، ورفعه الحرج عن النساء في اتخاذها، نشرع في الدراسة بادئين بحلية الأذن.

= عبدالله بن عبدالبر النمري القرطبي، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب* بهامش *الإصابة في تمييز الصحابة* لابن حجر (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٨هـ)، جـ٤، ص٦٨؛ أحمد بن حجر العسقلاني، *الإصابة في تمييز الصحابة*، وبهامشه *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، لابن عبدالبر (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٨هـ)، نسخة مصورة (بيروت: دار صادر، د.ت.)، جـ٤، ص٦٧. وقدم ابن عبدالبر في موضع آخر ترجمة لأبي رافع الصائغ، ولعله هو صاحب الرواية المشار إليه هنا. واسمه نفيع، من علماء التابعين، أدرك الجاهلية. يعد في البصريين. ابن عبدالبر النمري القرطبي، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، بهامش *الإصابة في تمييز الصحابة* لابن حجر العسقلاني (بيروت: دار صادر، د.ت.)، جـ٤، ص٦٩.

(١١) مالك بن أنس، *الموطأ*، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د. ت.)، جـ١، ص٢٥٠.

(١٢) مالك، *الموطأ*، جـ١، ص٢٥٠.

(١٣) ابن ماجه، سنن، جـ٢، ص٧٩٨. والأمثلة على تصدق المرأة بحليها كثيرة سنأتي على البعض منها في هذه الدراسة.

أولا: حلية الأذن

١ - التُّومـــة

«التُّومة: هي الدُّرَّة والتُّومة والتَّوامية... والتُّوم الواحدة تُومة، وهي مثل الدُّرَّة تعمل من الفضة... من قال: للدُّرَّة تومة شبهها بما يُسوَّى من الفضة كاللؤلؤة تجعلها الجارية في أذنيها. ومن قال: التؤامية، نسبها إلى تُؤام وهي قصبة عُمان.[١٤] ومن قال: توأميَّة فهما دُرَّتان للأذنين إحداهما توأمة الأخرى.»[١٥]

أشارت مصادر الحديث النبوي الشريف إلى التومة مقترنة بالصلاة والصدقة، فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خطب في الناس يوم العيد فأتى النساء ومعه بلال ناشر ثوبه فوعظهن وأمرهن أن يتصدقن، فجعلت المرأة تلقي التومة والقلادة.[١٦]

وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ خرج فصلى العيد ثم خطب الرجال ثم أتى النساء فخطبهن ثم أمرهن بالصدقة فلقد رأيت المرأة تلقي تومتها وخاتمها تعطيه بلالا يتصدق به.[١٧]

وقال جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: «صلى بنا رسول الله ﷺ في العيد... ثم مشى إلى النساء ومعه بلال... فأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تلقي تومتها وخاتمها إلى بلال.»[١٨]

---

(١٤) تُؤام: بالضم ثم فتح الهمزة، بوزن غلام: اسم قصبة عمان مما يلي الساحل، وصحار قصبتها مما يلي الجبل، ينسب إليها الدر؛ قال سويد:

كالتؤاميـــة، إن باشـــرتهـــا
قرت العين، وطـاب المضطجـع

انظر: ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم *البلدان* (بيروت: دار صادر وبيروت، د. ت.)، جـ٢، ص٥٤.

(١٥) الأزهري، تهذيب *اللغة*، جـ١٤، ص ص٣٣٨-٣٣٩.

(١٦) ابن حنبل، *المسند*، جـ١، ص٢٢٦.

(١٧) ابن حنبل، *المسند*، جـ١، ص٣٥٤؛ جـ٣، ص٣١٠.

(١٨) ابن حنبل، *المسند*، جـ٣، ص٣١٠.

من التعريف اللغوي وروايات الحديث يظهر أن التومة من حلية الأذنين تتحلى بها المرأة. وأن النساء في أيام الرسول ﷺ كن يتجاوبن مع دعوة الخير ويبذلن ما لديهن فيلقين حليهن صدقة ومن بين تلك الحلي، حلية الأذنين وهي التومة.

ويفهم كذلك من تعريف الأزهري للتومة أنها ربما كانت من الصناعات العمانية وعلى وجه الخصوص مدينة توآم، وأنها تصنع من الفضة.

٢ ـ الخُـــرْص

«الخُرْص: الحلقة من الذهب والفضة، قال شمر: الخرص: الحلقة الصغيرة من الحُليِّ كحلقة القرط ونحوها.»[١٩] وجمع الخرص: الخرصان. وقال الشاعر:

عليهن لُعْسٌ من ظباء تبالة مذبذبة الخُرْصان بادٍ نحورها.[٢٠]

وجاءت بعض الإشارات في كتب الحديث إلى الخرص مقترنة بالصدقة. فقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه شهد صلاة العيد مع النبي ﷺ، وأن الرسول أتى النساء ووعظهن وأمرهن أن يتصدقن وبلال قابض بثوبه فجعلت المرأة تجيء بالخرص والشيء تلقيه في ثوب بلال.[٢١]

كما جاء في رواية أخرى أن النبي ﷺ في يوم عيد وعظ النساء وأمرهن بالصدقة، فجعلت المرأة تلقي الخرص والخاتم والشيء.[٢٢]

---

(١٩) الأزهري، تهذيب *اللغة*، جـ٧، ص ص١٣٢-١٣٣.

(٢٠) إسماعيل بن حماد الجوهري، *الصحاح*، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، طـ٣ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٤هـ)، جـ٣، ص١٠٣٦، تبالة: من أرض تهامة، في طريق اليمن انتشر الإسلام في أهلها في السنة العاشرة للهجرة وتقع بالقرب من مدينة بيشة المعروفة. ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، جـ٢، ص ص٩-١٠.

(٢١) عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، سنن *الدارمي*، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، طـ١ (القاهرة: دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ببيروت، ١٤٠٧هـ)، جـ١، ص٤٥٦.

(٢٢) مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ)، جـ٢، ص٦٠٢؛ ابن حنبل، *المسند*، جـ١، ص٢٢٠؛ ابن ماجه، سنن، جـ١، ص ص٤٠١، ٤٠٩.

وليس في الروايات السابقة ما يبين عن نوعية الخرص؛ أمن ذهب هو أم من فضة. ويظهر من إحدى الروايات أن الرسول ﷺ يفضل أن يكون الخرص من فضة. فهو يقول لإحدى نسائه: ما ضر إحداكن لو جعلت خرصا من ورق ثم جعلته بزعفران. (٢٣)

وهذا الحديث الأخير يبين بما لا يدع مجالا للشك أن الخرص يكون من الذهب كما يكون من الفضة ويؤيد ذلك التعريف اللغوي. ويفهم كذلك أن الخرص من حلية الأذنين. وأن النساء في عهد الرسول ﷺ كن يتحلين بالخرص في أذانهن. ومما لا شك فيه أن الخرص من الصناعات المحلية السائدة في مدينة رسول الله ﷺ.

٣ ـ القُـــرْط

قال الليث: «القرط: معروف، يكون في شحمة الأذن، وجمعه قِرَطة.»(٢٤) «ويقال للدُّرَّة تُعلق في الأذن: قُرْط، وللتومة في الفضة قُرْط، وللمعاليق من الذهب: قُرْط والجمع في ذلك كله: قِرَطَة.»(٢٥) ومصادر الحديث التي بين أيدينا تشير إلى القرط في عدة مواضع وفي أغلبها تكون مقترنة بالصدقة. قال ابن عباس رضي الله عنهما إن النبي ﷺ صلى يوم العيد ركعتين... ثم أتى النساء ومعه بلال فأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تلقي قرطها. (٢٦)

---

(٢٣) ابن حنبل، *المسند*، جـ٦، ص٣١٥.
(٢٤) الأزهري، تهذيب *اللغة*، جـ١٦، ص٢١٩.
(٢٥) الأزهري، تهذيب *اللغة*، جـ١٦، ص٢٢١.
(٢٦) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح *البخاري*، تحقيق مصطفى ديب البغا، طـ٤ (دمشق وبيروت: دار ابن كثير واليمامة، ١٤١٠هـ)، جـ٥، ص٢٢٠٧. ومن طريف ما يروى أن المنذر بن النعمان قد شوهد وعليه قرطان ودملجان ومسكتان، انظر: ابن الأثير، *النهاية*، جـ٤، ص٣٣١، وحين زُفّت فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى علي بن أبي طالب، كان عليها دملوجان من فضة مصفران بزعفران. انظر: ابن سعد، *كتاب الطبقات*، جـ٨، ص٢٤.

وحدث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه شهد الصلاة مع رسول الله ﷺ يوم العيد وأنه وعظ النساء وذكرهن، وقال: «تصدقن» فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين في ثوب بلال من أقرطتهن وخواتمهن.[٢٧]

والروايات المتقدمة لا تذكر شيئا عن ماهية القرط، أمصنوع من الذهب أم من الفضة. أم مماذا؟ ولكن يظهر من إحدى الروايات أن القرط في أيام رسول الله ﷺ، كان يتخذ من الفضة والذهب، وأنه ﷺ كان يفضل للنساء قرط الفضة. فقد خاطب النساء قائلا: «ما على إحداكن أن تتخذ قرطين من فضة . . فتدرجه بين أناملها بشيء من زغفران فإذا هو كالذهب يبرق.»[٢٨]

والمعلومات المتوافرة لدينا عن القرط لا تشير إلى أماكن صناعته، وإن كان من غير المستبعد أن القرط من الصناعات المحلية في مدينة الرسول ﷺ، وأنه قد يأتي منه أنواع أخرى من البلاد المجاورة.

ثانيا: حلية الجيد والصدر

١ ـ السِّخـــاب

ينقـل الأزهـري عن الليث تعـريف السِّخـاب أنه «قلادة تتخذ من قرنفل وسُكٍّ ومحلب. . ليس فيها من اللؤلؤ شيء.»[٢٩] ثم يعلق الأزهري على هذا التعريف بقوله: «قلت: السِّخاب ـ عند العرب ـ كل قلادة. . . كانت ذات جوهر أولم تكن.»[٣٠]

---

(٢٧) مسلم، صحيح، جـ٢، ص ص٦٠٣-٦٠٤؛ ابن حنبل، *المسند*، جـ٣، ص٣١٤؛ الدارمي، سنن، جـ١، ص٤٥٨.

(٢٨) ابن حنبل، *المسند*، جـ٦، ص٤٥٤.

(٢٩) الأزهـري، تهذيب *اللغـة*، جـ٧، ص١٨٧؛ ابن منـظور، *اللسـان*، جـ١، ص٤٦١. وقيل السخـاب: خيط فيه خرز، سمي سخابا لصوت خرزه عند حركته من السخب، وهو اختلاط الأصوات. انظر: مسلم، صحيح، جـ٤، ص١٨٨٢ أسفل الحاشية؛ ابن الأثير، جـ١، ص٣٤٩.

(٣٠) الأزهري، تهذيب *اللغة*، جـ٧، ص١٨٧.

وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ خرج يوم عيد فصلى ركعتين، . . . ثم أتى النساء فأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تصدق بخرصها وسخابها.[٣١] وكما أن السخاب من حلية النساء ففي بعض الأحيان يكون حلية للأطفال كذلك. قال أبوهريرة رضي الله عنه: كنت مع رسول الله ﷺ في سوق من أسواق المدينة. . . فقال: «ادع الحسن بن علي،» فقام الحسن بن علي يمشي وفي عنقه السخاب.[٣٢]

وفي رواية قريبة من الرواية الأخيرة يقول أبوهريرة رضي الله عنه إن النبي ﷺ جاء فجلس بفناء بيت فاطمة، فقال: «أثَمَّ لكُع، أثَمَّ لكُع» فحبسته فاطمة شيئا فظننت أنها تلبسه سخابا أو تغسله، فجاء يشتد حتى عانقه وقبله.[٣٣]

هذه الروايات جميعها لا تخبرنا شيئا عن نوع السخاب أهو قلادة ذات جوهر أم قلادة من النوع المتواضع الذي يتخذ من القرنفل والمحلب ونحوهما. كما أن الروايات المتقدمة لا تكشف لنا عن أثمان السخاب ولا تفصح لنا كذلك عن مصدره. فإن كان المقصود بالسخاب هو القلادة المتواضعة المكونة من القرنفل والمحلب فإنه من المحتمل أن تكون من الصناعات التقليدية في المدينة وربما كانت ربات البيوت يقمن بعملها.

٢ ـ السِّلْسِلَة

«السِّلْسِلة، معروفة، دائرة من حديد ونحوه من الجواهر، مشتق من ذلك.[٣٤] والسِّلْسِلة، اتصال الشيء بالشيء، وبالكسر دائرة من حديد ونحوه.»[٣٥] وجاء عن النبي ﷺ ما يشير إلى السلسلة في قوله: «عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل.»[٣٦]

---

(٣١) البخاري، صحيح، جـ٥، ص٢٢٠٦؛ مسلم، صحيح، جـ٢، ص٦٠٦؛ ابن حنبل، *المسند*، جـ١، ص ص٢٨٠، ٣٤٠.

(٣٢) البخاري، صحيح، جـ٥، ص٢٢٠٧.

(٣٣) البخاري، صحيح، جـ٢، ص٧٤٧؛ وانظر: مسلم، صحيح، جـ٤، ص ص١٨٨٢-١٨٨٣، والمقصود ب: لكع هنا أي الصغير. ابن الأثير، *النهاية*، جـ٤، ص٢٦٨.

(٣٤) ابن منظور، *اللسان*، جـ١١، ص٣٤٥.

(٣٥) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، *القاموس المحيط*، طـ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ)، ص١٣١٣.

(٣٦) البخاري، صحيح، جـ٣، ص١٤٢.

وجاء في رواية أن رسول الله ﷺ استضحك يوما، فقيل له يا رسول الله ما أضحكك؟ قال: «قوم يساقون إلى الجنة مقرنين في السلاسل.»[٣٧]

ولدينا من الروايات ما يشير إلى نوع يختلف عن السلاسل المشار إليها آنفا. ونقصد السلاسل التي تتحلى بها المرأة وتتجمل. فقد جاء عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أنها قالت مخاطبة إحدى النساء: انظري إلى هذه السلسلة التي أهداها إليَّ أبوحسن. قال: وفي يدها سلسلة من ذهب.[٣٨] وجاء في رواية أخرى، فانتزعت فاطمة سلسلة في عنقها من ذهب. وقالت: هذه أهداها إليَّ أبوحسن.[٣٩] وروايات سلسلة الذهب الخاصة بفاطمة بنت رسول الله ﷺ، جاءت متعلقة بحادثة خاصة،[٤٠] وإلا فإنه من المحتمل أن تكون لدى النساء في ذلك الوقت سلاسل يتحلين بها، قد تكون من فضة أو ذهب أو حتى من حديد. وليس لدينا هنا ما يدل على قيمة السلسلة وإن كان ذلك بالطبع يعتمد على أمور كثيرة منها نوع السلسلة ووزنها ودقة صناعتها. ولدينا هنا ما يوحي بأن بعض سلاسل الذهب قد تكون مرتفعة القيمة، فحين أرسلت فاطمة بنت رسول الله ﷺ بالسلسلة إلى السوق وباعتها اشترت بثمنها غلاما فأعتقته.[٤١] وهذه الرواية تعطي المرء مجالا ليتصور قيمة سلسلة ذهبية كتلك.

٣ ـ الطَّـــوق

قال الليث: «الطَّوْق: حليٌ يُجعل في العُنق وكل شيء استدار فهو طوق. . . والجمع أطواق.»[٤٢]

---

(٣٧) ابن حنبل، *المسند*، جـ٥، ص٢٥٦.

(٣٨) ابن حنبل، *المسند*، جـ٥، ص٢٧٩.

(٣٩) النسائي، سنن، جـ٨، ص١٥٨.

(٤٠) انظر: النسائي، سنن، جـ٨، ص١٥٨.

(٤١) النسائي، سنن، جـ٨، ص١٥٨.

(٤٢) الأزهري، *تهذيب اللغة*، جـ٩، ص٢٤٢؛ ابن منظور، *اللسان*، جـ١٠، ص٢٣١.

وأشار النبي ﷺ إلى الطوق بقوله: «من اقتطع شبرا من الأرض ظلما طوّقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين.»(٤٣) وقال: «من ظلم قيد شبر من الأرض طُوِّقَهُ من سبع أرضين.»(٤٤)

كما أشار النبي ﷺ إلى الطوق كحلية حين خاطب النساء، فقال: «أما تستطيع إحداكن أن تجعل طوقا من فضة... ثم تخلقه بزعفران فيكون كأنه من ذهب.»(٤٥)

وحين دخل المسلمون مكة عام الفتح،(٤٦) كان على أخت أبي بكر رضي الله عنه، طوق من فضة، فتلقاها رجل واقتلعه من عنقها... وأخذ أبوبكر بيد أخته فقال: أنشد الله والإسلام طوق أختي. فلم يجبه أحد، فقال: «يا أخية احتسبي طوقك.»(٤٧)

هذا ما جاء عن الطوق من روايات، وهي على قلتها تؤكد أن الطوق من حلية العنق وأنه مما تتزين به النساء. وأنه يتخذ من الفضة كما يتخذ من الذهب. وليس لدينا هنا ما يوضح ماهية الطوق والفرق بينه وبين القلادة مثلا؟

٤ ـ العِقْــــد

والعِقْدُ حسب تعريف الأزهري هو: القِلادة وجمعه العقود.(٤٨) ويقدم ابن منظور تعـريفا أكثر دقة وشمولا فهو يقول: «العُقَدةُ: قِلادة. والعِقْدُ: الخيط ينظم فيه الخرز، وجمعه عقود وقد اعتقد الدَّر والخرز وغيره إذا اتخذ منه عِقدا؛ قال عدي بن الرقاع:

---

(٤٣) مسلم، صحيح، جـ٣، ص١٢٣٠.

(٤٤) مسلم، صحيح، جـ٣، ص١٢٣٢.

(٤٥) ابن حنبل، *المسند*، جـ٦، ص٤٦٠. وجاء في مصدر آخر أن امرأة كان لها طوق فيه عشرون مثقالاً من ذهب. انظر: أبو عبيدالقاسم بن سلام، *كتاب الأموال*، تحقيق محمد خليل هراس، طـ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ)، ص٤٤٥.

(٤٦) فتحت مكـة في شهـر رمضان من السنة الثامنة للهجرة. انظر أحداث الفتح عند عبدالملك بن هشام، *السيرة النبوية*، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.)، جـ٤، ص ص٣١ـ٧٠.

(٤٧) ابن هشام، *السيرة*، جـ٤، ص٤٨.

(٤٨) الأزهري، تهذيب *اللغة*، جـ١، ص١٩٨؛ الجوهري، *الصحاح*، جـ٢، ص٥١٠.

ما حسينة، إذ قامت تودعنا للبين واعتقدت شذرا ومرجانا»(٤٩)

وتتحدث عائشة رضي الله عنها عن حادثة فقد عقدها فتقول: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش(٥٠) انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه وأقام الناس معه.(٥١) وفي رواية لعمار بن ياسر رضي الله عنه يبين فيها نوعية عقد عائشة رضي الله عنها فيقول: ومعه عائشة زوجته فانقطع عقدها من جزع ظفار،(٥٢) فحبس الناس ابتغاء عقدها ذلك حتى أضاء الفجر.(٥٣) ويشير عمار بن ياسر رضي الله عنه مرة أخرى إلى عقد عائشة رضي الله عنها باقتضاب فيقول: سقط عقد عائشة فتخلفت لالتماسه.(٥٤) وفي حادثة الإفك تقول عائشة رضي الله عنها: . . . فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل فلمست صدري فإذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع. فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه.(٥٥) والحديث هنا ليس موقوفا على عقد عائشة رضي الله عنها، ولكن يبدو أن بعض الحوادث الخاصة جعلت الكثير من الأحاديث تشير إليه.(٥٦) ولدينا

(٤٩) ابن منظور، *اللسان*، جـ٣، ص٢٩٦.

(٥٠) ذات الجيش: موضع على ستة أميال من ذي الحليفة، وهي أحد منازل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى بدر وفي غزاة بني المصطلق. انظر: نور الدين علي بن أحمد السمهودي، *وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى*، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، طـ٣ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ)، جـ٤، ص١١٨٠.

(٥١) مالك، *موطأ*، جـ١، ص ص٥٣-٥٤.

(٥٢) جزع ظفار: الجزع بالفتح الخرز اليماني، الواحدة جزعة. وظفار مدينة لحمير باليمن. انظر: ابن الأثير، *النهاية*، جـ١، ص٢٦٩؛ جـ٣، ص١٥٨. وجاء في مصدر آخر: وظفار: مدينة باليمن قرب صنعاء وهي التي ينسب إليها الجزع الظفاري، فأما ظفار المشهورة اليوم فليست إلا مدينة على ساحل بحر الهند، وهي من أعمال الشحر وقريبة من صحار. ياقوت الحموي، معجم، جـ٤، ص٦٠.

(٥٣) النسائي، سنن، جـ١، ص١٦٧.

(٥٤) ابن ماجه، سنن، جـ١، ص١٨٧.

(٥٥) مسلم، صحيح، جـ٤، ص٢١٣٠؛ ابن حنبل، *المسند*، جـ٦، ص١٩٥.

(٥٦) من الحوادث الخاصة: نزول التيمم؛ انظر: ابن ماجه، سنن، جـ١، ص١٨٧؛ ومنها كذلك حديث الإفك، انظر: مسلم، صحيح، جـ٤، ص٢١٣٠.

بعض الروايات التي تبين أن العقد متداول عند الناس. فقد جاء في رواية: ثم إنهم فقدوا عقدا لأسماء بنت عميس، امرأة أبي بكر الصديق رضي الله عنها... فوجدوا الحلي عند صائغ.(٥٧)

وفي واحدة من الروايات: أن رسول الله ﷺ أتى الناس في قبائلهم يدعو لهم وأنه ترك قبيلة من القبائل وجدوا في بردعة رجل منهم عقد جزع غلولا.(٥٨)

يظهر مما سبق أن العقد نوع من أنواع القلائد وأنه من حلي النساء وزينتهن، وأن بعض العقود يكون من الجزع أو الخرز، كما يكون من الدر والمرجان وغير ذلك. ويتضح مما تقدم أن ظفار اليمن ذات شهرة واسعة في صناعة عقود الجزع الظفارية. وأنها تصدرها إلى الحجاز وربما إلى غيره من البلدان. وعلى الرغم من هذه السمعة الذائعة للعقود الظفارية إلا أن المصادر التي بين أيدينا لا تدلي بشيء عن أثمانها.

٥ ـ القِـــلادة

«والقِلادة ما جُعل في العُنق، جامع للإنسان والبدنة والكلب،»(٥٩) والقِلادةُ: «التي في العنق، وقَلَّدتُ المرأة فتقلَّدت هي.»(٦٠)

وجاءت الإشارة إلى القلادة بصيغة الجمع في القرآن الكريم مرتبطة بالهدي. فقال تعالى: ﴿ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ ﴾ سورة المائدة، آية ٩٧، وأشار النبي ﷺ إلى القلادة قائلا: «أيما امرأة تحلت قلادة من ذهـب جعل في عنقها مثلها من النار يوم القيامة.»(٦١)

---

(٥٧) مالك، *موطأ*، جـ٢، ص٨٣٦.

(٥٨) مالك، *موطأ*، جـ٢، ص ص٤٥٨-٤٥٩. ويظهر من إحدى الروايات أن بعض العقود ذات ثمن مرتفع حيث يبلغ «اثنتي عشرة مائة» وهي قيمة مرتفعة نسبيًا سواء كانت بالدراهم أو بالدنانير. انظر: ابن سلام، *الأموال*، ص٤٤٧؛ وحميد بن زنجويه، *كتاب الأموال*، تحقيق شاكر ذيب فياض، طـ١ (الرياض: مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، ١٤٠٦هـ)، جـ٣، ص٣٨١.

(٥٩) الأزهري، *تهذيب اللغة*، جـ٩، ص٣٢.

(٦٠) الجوهري، *الصحاح*، جـ٢، ص٥٢٧.

(٦١) ابن حنبل، *المسند*، جـ٦، ص٤٥٧؛ النسائي، سنن، جـ٨، ص١٥٧. جاء عن هذا الحديث أنه منسوخ بحديث: «إن هذين حرام على ذكور أمتي، حل لإناثهم.» انظر: ابن ماجه، سنن، جـ٢، ص١١٨٩؛ والنسائي، سنن، جـ٨، ص١٥٧ أسفل الحاشية.

وروى جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ صلى بالناس العيد وخطبهم ثم مضى إلى النساء . . . فأمرهن بتقوى الله ، ثم قال : «تصدقن» فجعلن ينزعن قلائدهن وأقرطهن في ثوب بلال يتصدقن به . (٦٢)

والقلائد على أنواع منها ما يكون فيها شيء من ذهب أو «شعائر الذهب» كالقلادة التي لبستها أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها . (٦٣) وبعض القلائد خليط خرز وذهب . فقد أتى رسول الله ﷺ وهو بخيبر بقلادة فيها خرز وذهب وهي من المغانم تباع . (٦٤) ومن القلائد ما تكون من ذهب وورق وجوهر . (٦٥) وبعض القلائد تكون من جزع ، وقد أهديت لرسول الله ﷺ هدية فيها قلادة من جزع ، فقال : «لأدفعنها إلى أحب أهلي إلي . . . فدعى أمامة بنت زينب فعلقها في عنقها . »(٦٦)

وقد تتخذ القلادة أحيانا من العصب ، (٦٧) حيث روى ثوبان ، مولى رسول الله ﷺ

---

(٦٢) النسائي ، سنن ، جـ٣ ، ص ص١٨٦-١٨٧ .

(٦٣) ابن حنبل ، *المسند* ، جـ٦ ، ص ص٣١٥-٣٢٢ .

(٦٤) مسلم ، صحيح ، جـ٣ ، ص ١٢١٣ ؛ أبو داود ، سنن ، جـ٣ ، ص٢٤٩ . وأحيانًا تكون القلادة من بين غنائم الحرب . قالت امرأة من بني غفار : «لما فتح رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خيبر ، رضخ لنا من الفيء وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها وجعلها بيده في عنقي» ؛ ابن حنبل ، *المسند* ، جـ٦ ، ص٣٨٠ .

(٦٥) مسلم ، صحيح ، جـ٣ ، ص١٢١٤ .

(٦٦) ابن حنبل ، *المسند* ، جـ٦ ، ص ص١٠١ ، ٢٦١ ، أمامة بنت زينب : هي أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبدالعزى وأمها زينب بنت رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وفاة زوجته فاطمة بنت رسول الله رضي الله عنهم أجمعين . انظر : ابن عبدالبر ، *الاستيعاب* ، جـ٤ ، ص ص٢٤٤-٢٤٧ ؛ ابن حجر العسقلاني ، *الإصابة* ، جـ٤ ، ص ص٢٣٦-٢٣٧ .

(٦٧) العصب : « ذكر بعض أهل اليمن ، أن العصب سن دابة بحرية تسمى فرس فرعون ، يتخذ منها الخرز وغير الخرز من نصاب سكين وغيره ويكون أبيض» ابن الأثير ، *النهاية* ، جـ٣ ، ص٣٤٥ ؛ وانظر التفسيرات المختلفة في الموضع نفسه .

أن الرسول أمره أن يشتري لفاطمة قلادة من عصب. (٦٨) ويتبين من إحدى الروايات أن القلائد تستعار، فقد استعارت عائشة رضي الله عنها قلادة فهلكت، فأرسل النبي ﷺ أناسا في طلبها. (٦٩) وتبذل القلادة أحيانا في فداء الأسرى. قالت عائشة رضي الله عنها: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص ـ زوجها ـ بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت عند خديجة أدخلتها بها على أبي العاص، قالت: «فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة.» (٧٠)

أما ثمن القلادة فإنه يتوقف على نوع المعدن الذي تتخذ منه سواء كان فضة أم ذهبا، أو كانت القلادة من خرز أو نحوه. ولا فكرة واضحة لدينا عن أثمان القلائد، والذي نعرفه أن قلادة كانت خليط ذهب وخرز بيعت عام خيبر بتسعة أو سبعة دنانير، (٧١) وأن قلادة أخرى أصيبت يوم خيبر وكانت خليطا من الخرز والذهب بيعت باثني عشر دينارا، وأن قيمتها الفعلية ربما كانت أكثر من ذلك. (٧٢)

المعلومات المتقدمة تظهر لنا أن القلادة من حلية الجيد، وأنها من زينة النساء خاصة، وأن القلادة تكون من خرز وذهب وخرز وذهب وجوهر، كما تكون من الجزع والعصب.

---

(٦٨) أبو داود، سنن، جـ٤، ص٨٧. ثوبان: مولى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يكنى بأبي عبدالله وهو ثوبان بن بجدد من أهل السراة بين مكة واليمن. اشتراه رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فأعتقه ولم يزل يصاحبه في الحضر والسفر إلى أن توفي رسول الله ﷺ، فخرج إلى الشام واستقر بحمص وتوفي بها سنة أربع وخمسين هجرية؛ ابن عبدالبر، *الاستيعاب*، جـ١، ص ص٢٠٩ـ٢١٠؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، جـ١، ص٢٠٤.

(٦٩) مسلم، صحيح، جـ١، ص٢٧٩؛ ابن ماجه، سنن، جـ١، ص١٨٨؛ الدارمي، سنن، جـ١، ص٥٠٨؛ وانظر: البخاري، صحيح، جـ٥، ص٢٢٠٦.

(٧٠) أبو داود، سنن، جـ٣، ص٦٢؛ وانظر الخبر عند ابن هشام، *السيرة*، جـ٣، ص ص٣٠٦ـ٣٠٨؛ ابن سعد، *طبقات*، جـ٨، ص٣١.

(٧١) أبو داود، سنن، جـ٣، ص٢٤٩.

(٧٢) مسلم، صحيح، جـ٣، ص١٢١٣؛ الترمذي، سنن، جـ٣، ص٥٤٧؛ أبو داود، سنن، جـ٣، ص٢٢٩؛ النسائي، سنن، جـ٧، ص٢٧٩.

ومن المحتمل أن تكون خيبر موطن اليهود آنذاك، من الأماكن المشهورة بقلائدها، ويؤيد هذا الاستنتاج تواتر الروايات عن قلائد الذهب والاتجار بها يوم خيبر.

٦ ـ الوِشَـــاح

«الوشاح شيء ينسج من أديم، عريضا ويُرصَّعُ بالجواهر، وتشده المرأة بين عاتقيها. ويقال: وِشَاحٌ وإِشَاحٌ ووِشَاحٌ وأُشاحٌ. والجمع: الوُشُحُ والأوشِحَةُ. . . وقول الراجز:

أحب منك موضع الوَشْحُنِّ   وموضع اللبَّة والقُرْطُنِّ[٧٣]»

وجاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان النبي ﷺ يتوشحني وينال من رأسي وأنا حائض.[٧٤]

وأشارت عائشة رضي الله عنها إلى الوشاح في قصة طويلة جاء فيها: أن وليدة كانت سوداء لحي من العرب، فأعتقوها فكانت معهم، قالت: «فخرجت صبية لهم، عليها وشاح أحمر من سيور.»[٧٥] وفي رواية أخرى لعائشة: «وعليها وشاح من أدم فسقط منها.»[٧٦] ومن سياق الروايتين السابقتين يظهر أن الوشاح ليس كبيرًا، حيث تقول الجارية السوداء: «فاتهموني به. . . . حتى بلغ من أمري أنهم طلبوا في قُبُلي.»[٧٧]

نستخلص مما سبق أن الوشاح من زينة النساء، ويمكن أن تلبسه الصبية أيضا وأنه لا يخلو من جواهر وإن كانت روايات الحديث السابقة لم تشر إلى شيء من هذا. كما أنها لم

---

(٧٣) الجوهري، *الصحاح*، جـ١، ص٤١٥. وتعريف شبيه بهذا أورده ابن منظور يقول فيه: «والجمان: سفيفة من أدم ينسج فيها الخرز من كل لون تتوشح به المرأة.» انظر: ابن منظور، *اللسان*، جـ١٣، ص٩٢. وقريب منه ما جاء عند ابن الأثير بهذا الخصوص حيث يقول: «والأصل من الوشاح وهو شيء ينسج عريضًا من أديم، وربما رصع بالجوهر، وتشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها.» انظر: ابن الأثير، النهاية، جـ٥، ص١٨٧.

(٧٤) ابن حنبل، *المسند*، جـ٦، ص١٨٧. ومعنى يتوشحني أي يعانقني ويقبلني. انظر: ابن الأثير، *النهاية*، جـ٥، ص١٨٧.

(٧٥) البخاري، صحيح، جـ١، ص ص١٦٨-١٦٩.

(٧٦) البخاري، صحيح، جـ٣، ص١٣٩٤.

(٧٧) البخاري، صحيح، جـ٣، ص١٣٩٤.

تشر إلى مكان صناعته ولا إلى ثمنه. وليس لدينا كذلك ما يدل على مدى شيوعه بين النساء في أيام رسول الله ﷺ.

ثالثا: حليـة اليـد

١ ـ الحَلْقَـة

«الحِلْق: الخاتم من فضة بلا فص.»[٧٨] وجاء في تعريف آخر «الحِلْقُ: بالكسر: خاتم الملك. قال الشاعر:

ففاز بحِلْقِ المنذر بن مُحرِّقٍ فتىً منهم رخو النجاد كريمُ[٧٩]»

وفي مصدر ثالث: «حِلَق. . . جمع حَلَقة: وهي الخاتم بلا فص.»[٨٠]

وجاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ومن أحب أن يحلق حبيبه حلقة من نار فليحلقه حلقة من ذهب.»[٨١] وجاء في رواية عن أبي قتادة عن أبيه رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من سره أن يحلق حبيبته حلقة من نار فليحلقها حلقة من ذهب.»[٨٢]

ويظهر مما تقدم أن هناك تضاربا بين المصادر اللغوية وبين ما جاء في الأحاديث النبوية حول تحديد معنى الحَلْقَة. فالحِلْق عند أحد المصادر: خاتم من فضة بلا فص. وفي آخر؛

---

(٧٨) الأزهري، تهذيب *اللغة*، جـ٤، ص٦١؛ وقارن ابن منظور، *اللسان*، جـ١٠، ص٦٢، وجاء عند ابن الأثير أن من أسماء الحلقة «الخوق» وأورد حديثًا عن النبي صلى الله عليه وسلم، يقول فيه مخاطبًا النساء: «أما تستطيع إحداكن أن تأخذ خوقًا من فضة فتطليه بزعفران.» انظر: ابن الأثير، النهاية، جـ٢، ص٨٨.

(٧٩) الجوهري، *الصحاح*، جـ٤، ص١٤٦٢.

(٨٠) ابن الأثير، *النهاية*، جـ١، ص٤٢٧.

(٨١) ابن حنبل، *المسند*، جـ٢، ص ص٣٣٤، ٣٧٨؛ أبو داود، سنن، جـ٤، ص٩٣.

(٨٢) ابن حنبل، *المسند*، جـ٤، ص٤١٤؛ أبو قتادة: لعل المقصود به أبو قتادة الأنصاري فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد اختلف في اسمه كثيراً كما اختلف في سنة وفاته فقيل إنه توفي بالمدينة سنة ٥٤هـ وقيل إنه توفي بالكوفة في خلافة علي بن أبي طالب وهو ابن سبعين سنة؛ ابن عبدالبر، *الاستيعاب*، جـ٤، ص ص١٦١-١٦٢؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، جـ٤، ص ص١٥٨-١٥٩.

الحلق: خاتم الملك. وعند ثالث؛ حلق: جمع حلقة وهي الخاتم بلا فص. فهنا كما يلاحظ القارىء خلط واضح بين الجمع والإفراد فأحيانا يكون «الحِلْقُ» وأحيانا «حَلْقة،» ثم يلاحظ كذلك التناقض في المادة التي تكون منها الحلقة، فأحيانا هي خاتم الفضة بلا فص وأحيانا أخرى هي: الخاتم بلا فص. وهذا التعريف الأخير يتضمن الاحتمال أن يكون من فضة أو ذهب أو حديد أو سوى ذلك شريطة ألا يكون له فص. والظاهر مما تقدم أن الحلقة هي في المفهوم الحديث (الدِّبلة).

ولم تشر الأحاديث النبوية إلا إلى حلقة الذهب، وهذا لا ينفي وجود حلقة الفضة وسواها.

٢ ـ الخاتَــم

يقول ابن منظور: «الخَاتَم: ما يوضع على الطِّينة، وهو اسم مثل العالَم، والخِتامُ: الطين الذي يُختمُ به على الكتاب. . . والختَمُ والخاتَم والخاتامُ والخَيتام: من الحَلْي، كأنه أول وهلة خُتِمَ به فدخل بذلك في باب الطابع، كثر استعماله لذلك وإن أعير الخاتم لغير الطبع، والجمع خواتِمَ وخَواتِيم.»[٨٣] وفي مصدر آخر الخاتم من حلية الأصابع.[٨٤]

وأشارت الأحاديث النبوية كثيرا إلى الخاتم مقترنا بالصدقة، وسنكتفي بالبعض منها هنا. فقد جاء عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما قضى صلاة العيد وخطب الناس. . . مضى إلى النساء ووعظهن وأمرهن بالصدقة. فجعلن يتصدقن من حليهن، يلقين في ثوب بلال من أقرطتهن وخواتمهن.[٨٥]

---

(٨٣) ابن منظور، *اللسان*، جـ١٢، ص ص١٦٣-١٦٤. وانظر عن الخواتم ما كتبه صاحب هذا البحث بعنوان: «الخواتم الإسلامية في القرنين الأول والثاني الهجريين،» *مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، الآداب والعلوم الإنسانية*، م٢ (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ص ص٤٧-٦٩.

(٨٤) الفيروز آبادي، *القاموس المحيط*، ص١٤٢٠.

(٨٥) مسلم، صحيح، جـ٢، ص ص٦٠٣-٦٠٤؛ ابن حنبل، *المسند*، جـ٣، ص ص٣١٤، ٣١٨؛ الدارمي، سنن، جـ١، ص٤٥٨.

وجاء في رواية عن ابن عباس رضي عنهما أن النبي ﷺ في يوم عيد وعظ النساء وأمرهن بالصدقة. فجعلت المرأة تلقي الخرص والخاتم والشيء. [٨٦]

والروايات السابقة لا تفصح عن ماهية تلك الخواتم، أخواتم ذهب أم فضة أم غير ذلك من المعادن. ولكن هناك روايات أخرى تتحدث عن خواتم الذهب؛ قالت عائشة رضي الله عنها: قدمت على النبي ﷺ حلية من عند النجاشي أهداها له، فيها خاتم من ذهب فيه فص حبشي. . . ثم دعا أمامة بنت أبي العاص ـ ابنة ابنته زينب ـ فقال: «تحلي بهذا يا بنية.»[٨٧] وجاء أيضا أن عائشة رضى الله عنها كانت تتحلى بخواتم من ذهب. [٨٨]

ويجوز أن يكون الخاتم صداقا ففي حديث الرأة التي وهبت نفسها لرسول الله ﷺ ولم يكن له بها حاجة. قال رجل من أصحابه: زوجنيها. فقال له الرسول ﷺ: «عندك شيء تصدقها؟» قال: لا، قال: اذهب فالتمس ولو خاتما من حديد.»[٨٩]

ومما سبق نستنتج أن الخاتم من حلية اليدين وبالذات الأصابع، ويتحلى به الرجال والنساء على حد سواء، وإن كان من غير المستبعد أن خواتم النساء تختلف من حيث الشكل عن خواتم الرجال. والخاتم يتخذ من الحديد وهو أدنى الخواتم قيمة كما يتخذ من الذهب والفضة وسوى ذلك من المعادن.

٣ ـ السِّوار

«والسِّوارُ: سِوارُ المرأة؛ والجمع أسْوِرَة، وجمع الجمع أساوِرة. . . وسوَّرْتُه، أي ألبسته السِّوار، فتسوَّرَه.»[٩٠]

---

(٨٦) مسلم، صحيح، جـ٢، ص٦٠٢؛ ابن حنبل، *المسند*، جـ١، ص٢٢٠؛ ابن ماجه، سنن، جـ١، ص ص٤٠٦، ٤٠٩.

(٨٧) أبو داود، سنن، جـ٤، ص٩٣؛ ابن ماجه، سنن، جـ٢، ص١٢٠٢.

(٨٨) البخاري، صحيح، جـ٥، ص٢٢٠٦.

(٨٩) البخاري، صحيح، جـ٥، ص٢٢٠٤.

(٩٠) الجوهري، *الصحاح*، جـ٢، ص٦٩٠؛ وانظر: الأزهري، تهذيب *اللغة*، جـ١٣، ص٥١؛ وابن منظور، *اللسان*، ، جـ٤، ص ص٣٨٧ـ٣٨٨.

والسوار من حلية أهل الجنة، وهو يكون من ذهب ومن فضة كما يكون من اللؤلؤ. وجاء القرآن الكريم على ذكر كل هذه الأنواع، وبين أنها من حلية أهل الجنة. فقال تعالى: ﴿ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ ﴾ [سورة الإنسان، آية ٢١]. وقال: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ [سورة الكهف، آية ٣١]. وقال تعالى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ﴾ [سورة الحج، آية ٢٣].

وجاء في الحديث عن أسماء بنت يزيد أنها كانت تحضر النبي ﷺ مع النساء فأبصر رسول الله امرأة عليها سواران من ذهب. فقال لها: «أيسرك أن يسورك الله سوارين من نار.»[٩١] وجاء عنه ﷺ قوله: «ومن أحب أن يسور حبيبه سوارا من نار فليسوره سوارا من ذهب، ولكن عليكم بالفضة فالعبوا بها.»[٩٢] واشترى رسول الله ﷺ لابنته فاطمة سوارين من عاج.[٩٣]

يظهر مما تقدم أن السوار من حلية النساء، وأنه يكون من ذهب ومن فضة كما يكون العاج. وربما يكون العاج أرخص أنواع الأسورة. ومن المحتمل كذلك أن تكون أسورة الذهب والفضة من صناعات المدينة، وقد تكون أساور العاج مما يجلب من خارجها.

---

(٩١) ابن حنبل، *المسند*، جـ٦، ص٤٥٥؛ وجاء في مصدر آخر أن امرأتين أتتا رسول الله ﷺ وفي أيديهما سواران من ذهب؛ انظر: الترمذي، سنن، جـ٣، ص ص٢٠-٢١، وفي رواية ثانية، أن امرأتين يمانيتين أتتا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي أيديهما سواران من ذهب، انظر: ابن زنجويه، *الأموال*، جـ٣، ص٩٧٣، وقارن النسائي، سنن، جـ٨، ص١٥٩. وانظر ما جاء عن نسخ مثل هذه الأحاديث، بحديث «إن هذين حرام على ذكور أمتي، حل لإناثهم.» أسماء بنت يزيد الأنصارية: ذكر ابن عبدالبر أنها أسماء بنت زيد بن السكن، من المبايعات وابنة عمة معاذ بن جبل، تكنى أم عامر. كانت من ذوات العقل والدين. روت عن النبي صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه؛ ابن عبدالبر، *الاستيعاب*، جـ٤، ص ص٢٣٧-٢٣٨؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، جـ٤، ص٤٧١.

(٩٢) أبو داود، سنن، جـ٤، ص٩٣.

(٩٣) أبو داود، سنن، جـ٤، ص٨٧؛ ابن حنبل، *المسند*، جـ٥، ص٢٧٥.

٤ ـ الفَتَخَة

قال ابن الأعرابي: «الفتَخَة: الخاتَمُ، وجمعها فتخ. وأنشد:

يسقط منه فتخي في كُمِّي

قال: كن النساء يتختمن في أصابع أرجلهن. وقال الليث: الفتوخ: خواتيم بلا فصوص... كأنها حلق.»[٩٤] وقال في اللسان: «الفَتْخة والفتَخَة: خاتم يكون في اليد والرجل بفص وغير فص؛ وقيل: هي الخاتم أيا كان؛ وقيل: هي حلقة تلبس في الإصبع كالخاتم... وقيل: الفتخة حلقة من فضة لا فص فيها فإذا كان فيها فص فهي الخاتم.»[٩٥]

والإشارة إلى الفتخة في مصادر هذه الدراسة ليست بالقليلة، وسنورد هنا البعض منها. روى جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه شهد صلاة عيد الفطر مع رسول الله ﷺ وأن النبي أمر النساء بالصدقة فجعلت المرأة تلقي فتخها، وبلال باسط ثوبه.[٩٦]

كما روى ابن عباس رضي الله عنهما أنه شهد صلاة عيد الفطر مع النبي ﷺ وأنه حث النساء على الصدقة فجعلن الفَتَخَ والخواتيم في ثوب بلال.[٩٧] وجاء في رواية ثوبان مولى رسول الله ﷺ أن ابنة هبيرة دخلت على رسول الله ﷺ وفي يدها خواتيم من ذهب يقال لها الفتخ، فجعل رسول الله ﷺ يقرع يدها بعُصَيَّة كانت معه.[٩٨]

ويبدو من هذه الرواية أن ثوبان رضي الله عنه لم يهتم كثيرا بالتفريق بين الخواتم والفتخ إلا من حيث الحجم. ومع ذلك فإنه يمكن اعتبار قول ثوبان حجة على اللغويين فقد يكونون أخطأوا التعريف. حيث ينص التعريف اللغوي عندهم للفتخة: أنها حلقة بدون فص فإذا كانت بفص فإنها خاتم.

---

(٩٤) الأزهري، تهذيب *اللغة*، جـ٧، ص٣٠٩.

(٩٥) ابن منظور، *اللسان*، جـ٣، ص٤٠؛ وقارن: الجوهري، *الصحاح*، جـ١، ص٤٢٨.

(٩٦) مسلم، صحيح، جـ٢، ص٦٠٣؛ ابن حنبل، *المسند*، جـ٣، ص٢٩٦.

(٩٧) البخاري، صحيح، جـ٥، ص٢٢٠٦؛ مسلم، صحيح، جـ٢، ص٦٠٢.

(٩٨) ابن حنبل، *المسند*، جـ٥، ص٥٧٨؛ النسائي، سنن، جـ٨، ص١٥٨.

ومن رواية أخرى يتبين أن بعض أزواج النبي كن يتحلين بالفتخ، قالت عائشة رضي الله عنها: دخل عليَّ رسول الله ﷺ فرأى في يدي فتخات من ورق، فقال: «ما هذا يا عائشة؟»(٩٩)

ويمكن إجمال القول إن الفتخة حلقة قد تكون من فضة أو ذهب بدون فص، ويمكن أن تلبسها المرأة في أصابع يديها أو في أصابع قدميها في بعض الأحيان وأن الفرق بينها وبين الخاتم هو الفص، فإذا كانت بفص فهي خاتم وإلا فهي الفتخة. ومن الطريف أن نذكر أن النساء في بلاد نجد وحتى الماضي القريب كن يطلقن على بعض أنواع حلق الأصابع مسمى الفتخة.

٥ ـ القُلْب

«القُلْبُ من الأسورة ما كان قلدا واحدا. ويقولون سِوارٌ قُلْبٌ»(١٠٠) وفي تعريف أكثر اقتضابا وتحديدا «القلب؛ بالضم: سِوار المرأة.»(١٠١)

ولم تشر مصادر الحديث التي بين أيدينا إلى القلب إلا نادرا، فقد حدث ثوبان أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ حلت الحسن والحسين قلبين من فضة.(١٠٢) وقالت أسماء بنت يزيد: إن رسول الله ﷺ جمع نساء المسلمين للبيعة... وفي النساء خالة لها عليها قلبان من ذهب وخواتيم من ذهب.»(١٠٣)

---

(٩٩) أبو داود، سنن، جـ٢، ص٩٦. وجاء في رواية أخرى لعائشة: «فرأى في يدي فتيخات من ورق» انظر: ابن زنجويه، *الأموال*، جـ٣، ص ص٩٧٣-٩٧٤.

(١٠٠) الأزهري، تهذيب *اللغة*، جـ٩، ص١٧٤؛ وقارن: الجوهري، *الصحاح*، جـ١، ص٢٠٤؛ والمقصود بقوله قلدا واحدًا؛ أي ما كان مفتولا من طاق واحد. انظر: الجوهري، *الصحاح*، جـ١، ص٢٠٤، أسفل الحاشية.

(١٠١) الفيروز آبادي، *القاموس المحيط*، ص١٦٣.

(١٠٢) أبو داود، سنن، جـ٤، ص٨٧؛ ابن حنبل، *المسند*، جـ٥، ص٢٧٥.

(١٠٣) ابن حنبل، *المسند*، جـ٦، ص٤٥٤.

والقلب مما تتصدق به المرأة في بعض الأحيان، حدث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ صلى في يوم عيد ركعتين ثم مال على النساء ومعه بلال، فوعظهن وأمرهن أن يتصدقن فجعلت المرأة تلقي القلب والخرص.[١٠٤]

يفهم مما سبق أن القلب نوع من الأسورة وأنه من حلية النساء، وأن الأطفال يمكن أن يتحلوا به، وأنه يمكن أن يتخذ من الفضة كما يتخذ من الذهب. ولم تفصح التعريفات اللغوية ولا روايات الحديث عن الفرق بين القلب والسوار الذي تقدم الحديث عنه.

٦ ـ المَسَك

«المَسَك: الذِّبل[١٠٥] من العاج كهيئة السِّوار تجعله المرأة في يديها. فذلك المسك. والذبل: القرون. فإن كان من عاج فهو مسك وعاج ووقف. وإذا كان من ذبل فهو مسك لا غير.»[١٠٦] وجاء في مصدر آخر: «المسك: وبالتحريك: الذبل والأسورة والخلاخيل من القرون والعاج.»[١٠٧]

ومعلوماتنا عن المسك شحيحة جدًّا. جاء عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ رأى عليها مسكتي ذهب. فقال لها: «ألا أخبرك بما هو أحسن من هذا. لو نزعت هذا وجعلت مسكتين من ورق ثم صفرتهما بزعفران كانت حسنتين.»[١٠٨]

وجاءت امرأة من أهل اليمن إلى رسول الله ﷺ وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب.[١٠٩]

---

(١٠٤) البخاري، صحيح، جـ٢، ص٥٢٠.

(١٠٥) الذبل: جلد السلحفاة البحرية أو البرية أو عظام دابة برية، تتخذ منها الأسورة والأمشاط، والامتشاط بها يخرج الصئبان؛ انظر: الفيروز آبادي، *القاموس المحيط*، ص١٢٩٤.

(١٠٦) الأزهري، *تهذيب اللغة*، جـ١٠، ص٨٦؛ ابن الأثير، *النهاية*، جـ٤، ص٣٣١؛ ابن منظور، *اللسان*، جـ١٠، ص ص٤٨٦ـ٤٨٧.

(١٠٧) الجوهري، *الصحاح*، جـ٤، ص١٦٠٨؛ الفيروز آبادي، *القاموس المحيط*، ص ١٢٣٠.

(١٠٨) النسائي، سنن، جـ٨، ص١٥٩. وجاء عند ابن الأثير أنه رأى على عائشة مسكتين من فضة؛ انظر: ابن الأثير، *النهاية*، جـ٤، ص٣٣١. كما جاء في مصدر آخر قوله: أتت امرأة من أهل اليمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها ابنة لها، في يدها مسكتان من ذهب؛ انظر: ابن سلام، *الأموال*، ص٤٤٤.

(١٠٩) أبو داود، سنن، جـ٢، ص٩٥؛ النسائي، سنن، جـ٥، ص٣٨.

ومن اللافت للنظر وجود تناقض، إذ تنص التعريفات السابقة على أن المسك يتخذ من العاج أو الذبل، بينما الروايات تشير هنا إلى المسك المصنوع من الذهب والفضة.

والروايات السابقة لا تبين لنا مكان صناعة هذا النوع من الحلي، كما أنها في الوقت ذاته لا تفصح لنا عن أثمانها.

والسؤال هو: إذا كان المسك من عاج أو ذبل فماذا يمكن أن يطلق على هذا النوع من الحلي والمسمى في الروايات المتقدمة مسكا؟ ومن الملاحظ عدم التوافق بين التعريف اللغوي للمسك ونصوص الحديث مما يجعل المرء يشك في دقة تعريف المسك.

رابعا: حلية القدم

١ ـ الجرس أو الجلجل

«الجرس: الذي يُضرب. . . وأجرس الحَلْيُ إذا صوت كصوت الجرس، وقال العجاج:

تسمع للحلي إذا ما وسوسا وارتج في أجيادها وأجرسا»[١١٠]

وجاء في مصدر آخر، أن الجرس: «هو الجُلجُل الذي يُعلق على الدواب. . . وقيل: الجَرس الذي يُعلق في عنق البعير.»[١١١]

ومصـادر الحديث التي بين أيدينا تمدنا بطائفة من الأحاديث النبوية التي تشير إلى الجرس، فحين سئل النبي عليه الصلاة والسلام كيف يأتيك الوحي؟ أجاب قائلا: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس.»[١١٢]

وروى أبوهريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس.»[١١٣] وفي رواية أخرى لأبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «الجرس مزامير

---

(١١٠) الأزهري، *تهذيب اللغة*، جـ١٠، ص٥٧٩؛ ابن منظور، *اللسان*، جـ٦، ص٣٦.

(١١١) ابن منظور، *اللسان*، جـ٦، ص٦.

(١١٢) البخاري، صحيح، جـ١، ص٤.

(١١٣) مسلم، صحيح، جـ٣، ص١٦٧٢؛ الترمذي، سنن، جـ٤، ص٢٠٧؛ الدارمي، سنن، جـ٢، ص٣٧٤. ويعلق ابن الأثير على هذا الحديث بقوله: «قيل إنما كرهه لأنه يدل على أصحابه بصوته. وكان عليه السلام يحب ألَّا يعلم العدو به حتى يأتيهم فجأة. وقيل غير ذلك.» ابن الأثير، *النهاية*، جـ١، ص٢٦١.

الشيطان.»(١١٤) والأحاديث في هذا الباب كثيرة وليس من المفيد الإتيان عليها جميعها.

والمهم في هذا المجال هو الجرس الذي يتخذ حلية. فقد قال علي بن سهل إن ابن الزبير أخبره أن مولاة لهم ذهبت بابنة الزبير إلى عمر بن الخطاب وفي رجلها أجراس، فقطعها عمر، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن مع كل جرس شيطانا.»(١١٥) وحين جيء إلى عائشة رضي الله عنها بجارية عليها جلاجل يصوتن، قالت: لا تدخلنها عليّ إلا أن تقطعوا جلاجلها. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تدخل الملائكة بيتا فيه جرس.»(١١٦)

وفي الرواية الأخيرة جمع بين الجرس والجلاجل؛ فهل الجلاجل اسم مرادف لمسمى الجرس؟ جاء في تعريف ابن منظور للجرس أنه الجلجل الذي يعلق على الدواب.(١١٧) وإذا قبل المرء بهذا التعريف فهل يمكن القول إن الجرس والجلجل من الحلي التي يشترك في استعمالها الإنسان والحيوان؟ أقول ربما كان الأمر كذلك. وليس من المستبعد أن الجلاجل والأجراس التي تتحلى بها النساء تختلف من حيث الشكل عن التي تعلق على الدواب والمعلومات التي بين أيدينا لا تدلنا على المواد التي تصنع منها الجلاجل والأجراس.

٢ ـ الحجل

قال الليث: «الحَجْل والحِجْل لغتان، وهو الخلخال، قال: وحجلا القيد: حلقتاه... والحِجْل: الخلخال؛ وجمعه حجول، ونحو ذلك.»(١١٨)

ولم يرد في مصادرنا عن النبي ﷺ إشارة إلى الحجل. ولكن جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا ظاهر امرأته. فغشيها قبل أن يُكَفِرَ. فأتى النبي ﷺ فذكر له ذلك.

---

(١١٤) مسلم، صحيح، جـ٣، ص١٦٧٢.

(١١٥) أبو داود، سنن، جـ٤، ص ص٩١-٩٢.

(١١٦) ابن حنبل، *المسند*، جـ٦، ص٢٤٢؛ أبو داود، سنن، جـ٤، ص٩٢.

(١١٧) ابن منظور، *اللسان*، جـ٦، ص٣٦. ويذكر الجوهري أن الجلجل واحد الجلاجل وصوته الجلجلة، *الصحاح*، جـ٤، ص١٦٥٩. كما يذكر ابن منظور في موضع آخر أن الجلجل: معروف واحد الجلاجل والجلجل: الجرس الصغير، *اللسان*، جـ١١، ص١٢٢.

(١١٨) الأزهري، تهذيب *اللغة*، جـ٤، ص١٤٤؛ الجوهري، *الصحاح*، جـ٤، ص١٦٦٦؛ ابن منظور، *اللسان*، جـ١١، ص١٤٥.

فقال: «ما حملك على ذلك؟» قال: يا رسول الله! رأيت بياض حجليها في القمر، فلم أملك نفسي أن وقعت عليها. فضحك رسول الله ﷺ وأمره ألا يقربها حتى يكفر.[١١٩]

ويفهم من ظاهر هذه الرواية أن الرجل ربما كان يكنى ببياض حجليها عن ساقيها وهي موضع الحجول. أو أنه ربما كان يتحدث صراحة عن الحجول وهي حلي المرأة التي تجعلها في ساقيها. ويظهر أن تلك الحجول كانت من فضة حيث إن ضوء القمر عكس بيضاها الشديد.

وليس لدينا هنا ما يفيد عن المواد التي تصنع منها الحجول، هل تصنع من الذهب أو الحديد مثلا أو أنها تصنع من الفضة فقط؟ الرواية الوحيدة التي سقناها آنفا لا تجيب عن هذه التساؤلات.

٣ ـ الخَدْمَـة

«الخَدْمَةُ: سيرٌ غليظ محكم — مثل الحلقة — يُشدُ في رُسْغ البعير، ثم يُشدُ إليها سرائح نعلها (وجمعها خِدامٌ) وسُمى الخلخال: خَدَمةً بذلك. . وأصل الخدمة: الحلقة المستديرة المحكمة ومنه قيل للخلاخيل خدام — وأنشد:

كان منا المطاردون على الأخرى   إذا أبدت العذارى الخداما[١٢٠]

وجاء عند الجوهري ما يوضح صفة الخدمة فهو يقول: « . . . وبه سمى الخلخال خدمة، لأنه ربما كان من سيور يُركّبُ فيها الذهب والفضة، والجمع خِدَامٌ.»[١٢١]

وجاء في الحديث النبوي إشارات قليلة إلى الخدمة، منها: ما رواه أبو بردة بن نيار رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال: «**يا معشر النسوان تصدقن، الصدقة خير لكن.**» قال: فما رأيت يوما قط أكثر خدمة مقطوعة وقلادة وقرطا من ذلك اليوم.[١٢٢]

---

(١١٩) ابن ماجه، سنن، جـ١، ص ص٦٦٦ـ٦٦٧.

(١٢٠) الأزهري، تهذيب *اللغة*، جـ٧، ص ص٢٩١ـ٢٩٢.

(١٢١) الجوهري، *الصحاح*، جـ٥، ص١٩٠٩.

(١٢٢) ابن حنبل، *المسند*، جـ٤، ص ص٢٨٢ـ٢٨٣؛ أبو بُردة: هو أبو بردة بن نيار، واسمه هانىء بن نيار، وقيل الحارث بن عمرو. شهد بدرًا وسائر المشاهد. توفي في أول خلافة معاوية بن أبي سفيان؛ ابن عبدالبر، *الاستيعاب*، جـ٤، ص ص١٧ـ١٨.

وكتبت قريش إلى اليهود بعد معركة بدر[١٢٣] تطلب منهم النصرة، وتشير في كتابها إلى الخدمة، تُكنى بها عن النساء، فتقول: «إنكم أهل الحلقة والحصون وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء.»[١٢٤]

وأشار أنس بن مالك رضي الله عنه في روايته عن يوم أحد[١٢٥] إلى الخدمة فقال: «ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وأنهما لمشمرتان أرى خدم سوقهما تنقزان القرب على متونهما.»[١٢٦]

مما تقدم يظهر أن الخدمة ضرب من الخلاخيل، وأن بعض أنواعه ربما كان من سيور يركب فيها الخرز والفضة وكانت بعض النساء في عهد رسول الله ﷺ يتصدقن بخدامهن.

٤ ـ الخَلْخَــال

«الخَلْخَالُ: الذي تلبسه المرأة. والمُخَلْخَلُ: موضع الخلخال من الساق.»[١٢٧] وجاء في الحديث النبوي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، قد ظاهر من امرأته فوقع عليها. فقال: «يا رسول الله! إني ظاهرت من امرأتي فوقعت عليها قبل أن أُكفِرْ. قال: ما حملك على ذلك يرحمك الله! قال: رأيت خلخالها في ضوء القمر.»[١٢٨]

---

(١٢٣) عن معركة بدر، انظر: ابن هشام، *السيرة*، جـ٢، ص ص٢٥٧ـ٣٧٤؛ محمد بن عمر الواقدي، *المغازي*، تحقيق مارسدن جونس، ط٣ (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٤هـ)، جـ١، ص ص١٩ـ١٧٢.

(١٢٤) أبو داود، سنن، جـ٣، ص١٥٦.

(١٢٥) عن معركة أحد، انظر: ابن هشام، *السيرة*، جـ٣، ص ص٦٤ـ١٣٥؛ الواقدي، *المغازي*، جـ١، ص ص١٩٩ـ٣٣٤.

(١٢٦) البخاري، صحيح، جـ٤، ص ص١٤٩٠ـ١٤٩١، وفي رواية مسلم: تنقلان القرب على متونهما، والمقصود بالسوق هنا: جمع ساق انظر: مسلم، صحيح، جـ٣، ص١٤٤٣.

(١٢٧) الأزهري، تهذيب *اللغة*، جـ٦، ص٥٧٢؛ الجوهري، *الصحاح*، جـ٤، ص١٦٨٩؛ ابن منظور، *اللسان*، جـ١١، ص٢٢١.

(١٢٨) الترمذي، سنن، جـ٣، ص٤٩٤؛ النسائي، سنن، جـ٦، ص١٦٧.

وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما عن يوم أحد يشير إلى الخلخال فيقول: «فلما لقيناهم — أي المشركين — هربوا حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل، رفعن عن سوقهن، قد بدت خلاخلهن.»[١٢٩] وفي رواية أخرى قال: «فأنا والله رأيت النساء يشتددن، قد بدت خَلاخيلُهُن وأسُوقُهُنَّ رافعات ثيابَهُنَّ.»[١٣٠]

الروايات السابقة تبين أن الخلخال من حلية النساء وأن موضعه الساق وأن النساء في أيام النبي ﷺ كن يتحلين به. والروايات السابقة لم تبين لنا مدى التداخل بين الخلخال والحجل والخدمة؟

٥ ـ الوَضَــح

«الأوضَاحُ: حليٌ من الدراهم الصحاح.»[١٣١] وفي مصدر آخر: «الوَضَحُ: حَلْيٌ من فضة، والجمع أوضاح، سميت بذلك لبياضها. . . وقيل الوَضَحُ: الخلخَال فَخُصَّ.»[١٣٢]

وجاء في الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: كنت ألبس أوضاحا من ذهب. فقلت: «يارسول الله أكنز هو؟» فقال: «ما بلغ أن تؤدي زكاته فزكى فليس بكنز.»[١٣٣] وجاء في رواية أن جارية خرجت بالمدينة وعليها أوضاح فرماها يهودي بحجر.[١٣٤] وفي رواية أخرى أكثر تفصيلاً يقول فيها أنس بن مالك رضي الله عنه: خرجت جارية عليها أوضاح فأخذها يهودي فرضخ رأسها بحجر وأخذ ما عليها من الحلي.[١٣٥]

---

(١٢٩) البخاري، صحيح، جـ٤، ص١٤٨٦.

(١٣٠) البخاري، صحيح، جـ٣، ص١١٠٥.

(١٣١) الجوهري، *الصحاح*، جـ١، ص٤١٦؛ وقارن: الأزهري، *تهذيب اللغة*، جـ٥، ص١٥٧.

(١٣٢) ابن منظور، *اللسان*، جـ٢، ص٦٣٦؛ وقارن: الفيروز آبادي، *القاموس المحيط*، ص٣١٥؛ والصحاح بالفتح بمعنى الصحيح، أي الخالي من العيب؛ ابن الأثير، *النهاية*، جـ٣، ص١٢.

(١٣٣) أبو داود، سنن، جـ٢، ص٩٥.

(١٣٤) البخاري، صحيح، جـ٦، ص ص٢٥٢١، ٢٥٢٢؛ النسائي، سنن، جـ٨، ص٢٢.

(١٣٥) الترمذي، سنن، جـ٤، ص١٥.

مما سبق يظهر أن الأوضاح حلية للنساء تتخذ من الفضة وأنها سميت بذلك لشدة بياضها، وقيل هي الخلخال على وجه الخصوص. ولكن حديث أم سلمة المتقدم يشير إلى أنها كانت تلبس أوضاحا من ذهب. وهذا يدعو إلى النظر في سلامة التعريف اللغوي بقصره الوضح على الفضة.

ومن الملاحظ أن الروايات المتقدمة لا تذكر شيئًا عن الفرق بين الأوضاح والخلاخيل وهي كلها من حلية القدم.

خامسًا: أنواع متفرقة من الحلى

١ ـ الجُمانة

«الجُمانُ من الفضة يُتخذُ أمثال اللؤلؤ.»[١٣٦] وفي مصدر آخر: «الجُمانةُ: حبةٌ من الفضة كالدُّرّة، وجمعها جمان.»[١٣٧] والجمان في تعريف آخر، هو: «اللؤلؤ الصغار. وقيل حبٌ يُتَخذُ من الفضة أمثال اللؤلؤ.»[١٣٨] وجاء في *اللسان* أن الجمان: «هنواتٌ تُتَخذُ على أشكال اللؤلؤ من فضة، فارسي معرب، واحدته جُمانة».[١٣٩]

وفي الحديث أن النبي ﷺ إذا أُنزل عليه الوحي يتحدر منه مثل الجمان من العرق.[١٤٠]

وقالت أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها: أن النبي ﷺ خاطب النساء ذات يوم قائلاً: «ما على إحداكن أن تتخذ قرطين من فضة، وتتخذ لها جمانتين من فضة فتدرجه بين أناملها بشيء من زعفران فإذا هو كالذهب يبرق.»[١٤١]

---

(١٣٦) الأزهري، *تهذيب اللغة*، جـ١١، ص١٢٧.

(١٣٧) الجوهري، *الصحاح*، جـ٥، ص٢٠٩٢.

(١٣٨) ابن الأثير، *النهاية*، جـ١، ص٣٠١.

(١٣٩) ابن منظور، *اللسان*، جـ١٣، ص٩٢.

(١٤٠) البخاري، صحيح، جـ٢، ص٩٤٥.

(١٤١) ابن حنبل، *المسند*، جـ٢، ص٥٤.

وفي رواية أخرى لأسماء، أن رسول الله ﷺ قال يومًا للنساء: «أما تستطيع إحداكن أن تجعل طوقًا من فضة وجمانة من فضة ثم تخلقه بزعفران فيكون كأنه من ذهب.»(١٤٢)

فالأحاديث النبوية هنا تربط بين الجمان والذهب، إذ يحث النبي ﷺ النساء على اتخاذها من فضة مع طلائها بالزعفران لتشابه الذهب. وتعريفات أهل اللغة وروايات الحديث لم تبين ما صفة حلية الجمان، أهي ضرب من القلائد والعقود؟ أم من الأقراط والخروص؟ أم من الأساور ونحوها؟

وباختصار: أمن حلية اليدين كان الجمان أم الجيد أم القدمين؟ المعلومات السابقة لا تقدم إجابة شافية عن هذه التساؤلات.

٢ ـ الخَــرز

قال الليث: «الخَـرَزُ، فُصُـوصٌ من جَيِّد الجوهر، ورديئهُ من الحجارة.»(١٤٣) وفي مصدر آخر؛ «الخَرَزَةُ: محركة، الجوهر، وما يُنْظَمُ... وخرزات المَلِكِ: جواهر تاجه.»(١٤٤)

وأشار الرسول ﷺ إلى الخرز قائلًا: «الآيات خرزات منظومات في سلك، فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضًا.»(١٤٥)

وتوفي رجل يوم حنين،(١٤٦) فقال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم قد غل في سبيل الله.» قال: ففتشنا متاعه فوجدنا خرزات من خرز يهود ما تساوي درهمين.(١٤٧)

---

(١٤٢) ابن حنبل، *المسند*، جـ٦، ص٤٦٠.

(١٤٣) الأزهري، تهذيب *اللغة*، جـ٧، ص٢٠١.

(١٤٤) الفيروز آبادي، *القاموس المحيط*، ص٦٥٦.

(١٤٥) ابن حنبل، *المسند*، جـ٢، ص٢١٩.

(١٤٦) حنين: حدثت غزوة حنين في السنة الثامنة من الهجرة، أي بعد أحداث فتح مكة مباشرة؛ انظر: ابن هشام، *السيرة*، جـ٤، ص ص٨٠-١٢٠؛ الواقدي، *المغازي*، جـ٣، ص ص٨٨٥-٩٢٢.

(١٤٧) مالك، *الموطأ*، جـ٢، ص ص٤٥٨-٤٥٩.

وفي رواية أخرى يبدو أنها تكرار للأولى يقول فيها: توفي رجل من أشجع بخيبر. . . فالتمسوا في متاعه، فإذا خرزات من خرز يهود ما تساوي درهمين.[١٤٨] والخرز يدخل في تكوين القلائد والعقود.[١٤٩] وقالت عائشة رضي الله عنها: إن النبي ﷺ أتى بظبية فيها خرز فقسمها للحرة والأمة.[١٥٠]

الروايتان السابقتان تشيران إلى ارتباط الخرز باليهود وكأنهما توحيان أن اليهود يختصون بصناعة نوع معين من الخرز، ومن المتعذر علينا معرفة جودته، ولكن البعض منه حسب تصريح الروايات ما يساوي درهمين وهذا لا ينفي أن يكون هناك خرز بالغ النفاسة مرتفع الثمن.

الخاتمـــة

مما سبقت دراسته نجمل القول بأن الحلية النسوية بأنواعها الذهبية والفضية وما سوى ذلك من خرز ونحوه كانت شائعة في عصر الرسول ﷺ. ويظهر من بعض الروايات أن الرسول ﷺ لم يكن بادىء الأمر يحب حلية الذهب، وكان يحث النساء على حلية الفضة ويرغبهن في تصفيرها بالزعفران لتشابه الذهب. وفي مرحلة تالية رخص الرسول ﷺ للنساء دون الرجال بالتحلي بالذهب وقال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي، حل لإناثهم،» وكان بهذا الحديث يشير إلى الذهب والحرير. فأقبلت النساء على التحلي بالذهب بعد أن كن يتحرجن من ذلك. ولبسنه في أعناقهن وأيديهن وأقدامهن. وقد صنفت الحلية التي انطوت عليها ثنايا البحث هنا إلى خمس فئات:

الأولى: حلية الأذن؛ مثل القرط، والخرص والتومة.

الثانية: حلية الجيد والصدر مثل السخاب، والسلسلة، والعقد، والقلادة، والطوق، والوشاح.

(١٤٨) ابن ماجه، سنن، جـ٢، ص٩٥٠؛ وانظر: ابن حنبل، *المسند*، جـ٤، ص١١٤.

(١٤٩) انظر: القلادة والعقد. وقد نظم قوم عبدالله بن أبي المنافق الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم حين قدم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة، انظر: ابن هشام، *السيرة*، جـ٢، ص٢٣٤.

(١٥٠) أبو داود، سنن، جـ٣، ص١٣٦. والمقصود بالظبيَّة هنا جراب صغير عليه شعر، وقيل: شبه الخريطة والكيس.

الثالثة: حلية اليد؛ مثل الحلقة، والخاتم، والسوار، والفتخة، والقلب، والمسك.

الرابعة: حلية القدم؛ مثل الجرس، والحجل، والخدمة، والخلخال والوضح.

الخامسة: أنواع متفرقة من الحلي، مثل الجمانة والخرز.

أما من حيث المادة التي تصنع منها حلية النساء فتنقسم في غالبها إلى ثلاثة أقسام: الذهب والفضة والخرز.

وربما لاحظ القارىء أنه في الوقت الذي تحدثت فيه مصادر الحديث عن المواد التي تصنع منها الحلية وأهمها في ذلك الحين الذهب والفضة، إلا أنها لم تشر إلى أماكن وجود تلك المواد. وهذا يقود المرء إلى افتراض أن المعادن الثمينة المنتشرة في إقليم الحجاز وما جاوره من الأقاليم كنجد كانت وراء ازدهار صناعة الحلي، ومن تلك المعادن على سبيل المثال: معدن بني سليم،[١٥١] نسبة إلى القبيلة التي يقع في موطنها، وهو معدن ذهب. ومعادن القبلية، وهي معادن ذهب أقطعها رسول الله ﷺ لبلال بن الحارث المزني.[١٥٢] ومن معادن الذهب كذلك معدن حليت،[١٥٣] ويقع في حمى ضرية وكان كثير الذهب. ويعتبر بحران[١٥٤] من المعادن المشهورة بالذهب أيضًا، ويقع بناحية الفرع على الطريق بين مكة والمدينة.

---

(١٥١) انظر: الحسن بن أحمد الهمداني، *كتاب الجوهرتين*، تحقيق حمد الجاسر وملحق به *التعدين والمعادن في جزيرة العرب* من تأليف حمد الجاسر، ط١ (الرياض: المطابع الأهلية، ١٤٠٨هـ)، ص٨٨؛ وانظر ما كتبه عنه الجاسر مفصلاً في البحث المرفق، *التعدين والمعادن*، ص ص٣٦٢-٣٧٢. ومن الرواد الغربيين الذين كتبوا عن المعادن في بلاد العرب، مورتيس B. Moritz في مقالة ترجمها عن الألمانية إلى العربية أمين رويحة بعنوان «المعادن في البلاد العربية القديمة،» *مجلة العرب*، جـ٧، س٢ (محرم ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م)، ص ص٥٨٠-٥٩٠.

(١٥٢) الجاسر، *التعدين*، ص ص٤٠١-٤٠٢؛ بلال بن الحارث المزني: من أهل المدينة، أقطعه رسول الله ﷺ العقيق، وكان صاحب لواء مزينة يوم الفتح، وتوفي في سنة ٦٠هـ؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، جـ١، ص١٦٤.

(١٥٣) الجاسر، *التعدين*، ص٣٥٢.

(١٥٤) الجاسر، *التعدين*، ص ص٣٣٥-٣٣٦.

أما معدن الفضة، فكان المشهور منه معدن أبرق خترب، ويقع في حمى ضرية وهو غزير الإنتاج، [١٥٥] وكذلك معدن الأحسن. [١٥٦]

وكما أغفلت المصادر الحديثية التطرق إلى مصادر الذهب والفضة أو معادنها بتعبير أصح، فقد أغفلت كذلك الإشارة إلى من يقوم بتصنيع تلك المعادن وتحويلها إلى حلي فضية كانت أو ذهبية.

ويظهر من بعض المصادر التاريخية الموثوقة أن بعض قبائل اليهود في المدينة كانوا هم سادة هذه الصناعة وعلى الأخص بنو قينقاع، يقول عنهم ابن سعد: وكانوا أشجع يهود، وكانوا صاغة. [١٥٧] وحين هاجمهم رسول الله ﷺ وأجلاهم من المدينة بسبب خيانتهم «وجدوا في حصونهم سلاحًا كثيرًا وآلة الصياغة.» [١٥٨] ويعلق الطبري على حادثة إجلاء بني قينقاع بقوله: «ولم تكن لهم أراضون، إنما كانوا صاغة، فأخذ رسول الله ﷺ لهم سلاحا كثيراً وآلة صياغتهم.» [١٥٩]

ومن المؤكد أن يهود بني قينقاع لم يحتكروا هذه الصناعة دون غيرهم من الناس ولكن ربما كانوا من المشهورين بها. وينقل السمهودي عن ابن زبالة (توفي في نهاية القرن الثاني الهجري) أن قرية زهرة الواقعة في ضواحي المدينة كان بها ثلاثمائة صائغ. [١٦٠] ومع أن هذا الرقم ربما لا يخلو من مبالغة إلا أنه يكشف عن مدى شيوع الصياغة وازدهار سوقها في المدينة آنذاك.

---

(١٥٥) الجاسر، *التعدين*، ص ص٣٣١-٣٣٢.

(١٥٦) الجاسر، *التعدين*، ص ص٣٣٢-٣٣٤.

(١٥٧) ابن سعد، *طبقات*، جـ٢، ص٢٩.

(١٥٨) الواقدي، *المغازي*، جـ١، ص ص١٧٦-١٨٠؛ وانظر عن أحداث هذه الغزوة: ابن هشام، *السيرة*، جـ٣، ص ص٥٠-٥٣.

(١٥٩) محمد بن جرير الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طـ٤ (القاهرة: دار المعارف، د. ت.)، جـ٢، ص٤٨١.

(١٦٠) السمهودي، *وفاء الوفا*، جـ٤، ص ص١٢٢٩-١٢٣٠.

إضافة إلى ما تقدم فإنه يمكن استخلاص النتائج الآتية:

١ ـ أن المواد التي كانت تتحلى بها المرأة في ذلك الحين لم تكن بالكثرة على الرغم من وجود أكثر من مسمى للحلية الواحدة.

٢ ـ يلاحظ بوضوح عدم شيوع الأسماء الأجنبية للحلي في ذلك العصر. وهذا ربما كان صدى لعزلة المجتمع العربي آنذاك عن غيره من المجتمعات.

٣ ـ إن الاشارات القليلة لأثمان بعض الحلي لا تسمح للدارس بأن يصدر حكمًا دقيقًا على المستوى المادي للناس في عصر الرسول ﷺ.

٤ ـ أما بالنسبة لأثر الدين في إقبال النساء على الحلي فهو واضح جدًا في هذه الدراسة، حيث إننا نجد أن الكثير من النساء المسلمات امتنعن أول الأمر عن استعمال حلية الذهب وذلك نزولاً عند رغبة الرسول ﷺ. لكن في فترة لاحقة وحين نسخت الأحاديث التي تنهى النساء عن حلية الذهب نرى أنهن يقبلن على استخدام تلك الحلية جنبًا الى جنب مع حلية الفضة التي طالما رغّب بها رسول الله ﷺ النساء وحثهن عليها.

٥ ـ والملاحظة الأخيرة بهذا الخصوص هي: أنه يكاد يكون من شبه المؤكد أن ما جاءت عليه الدراسة هنا ليس حصرًا دقيقًا ولا كليًّا لضروب الحلية التي كانت شائعة في العصر النبوي، بل ربما كانت أكثر من ذلك، وليس من المستبعد أن تكون هناك تفاصيل أكثر إثارة عن بقية الأنواع الأخرى من الحلي، لكن المصادر التي ارتضيناها محورًا لهذه الدراسة لم تقدم أكثر مما سبق.

وأخيرًا إن الباحث يرجو أن تكون أوجه القصور في هذه الدراسة من الأسباب الوجيهة التي تحرض الدارسين على إعادة البحث في الموضوع بالعودة إلى مصادره الأولية في السنة النبوية الشريفة واستنطاق كوامنها أملاً في بلوغ الهدف المنشود.

مسـرد بمفردات الحلية الواردة في البحث

حلية الأذن

التومـة

الخرص

القرط

السوار

الفتخة

القلب

المسك

حلية الجيد والصدر

السخاب

السلسلة

الطوق

العقد

القلادة

الوشاح

حلية اليـد

الحلقة

الخاتم

حليـة القـدم

الجرس والجلجل

الحجـل

الخدمـة

الخلخال

الوضح

أنواع متفرقـة من الحليـة

الجمانـة

الخـرز

Women's Jewelry in the Time of the Prophet (PBUH) A Study Taken from the Main Sources of the Honorable Prophetic Tradition

Muhammad F. al-Jameel
Associate Professor, Department of History, College of Arts,
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. The purpose of this study is to shed light upon women's jewelry used at the time of the Prophet Muhammad (PBUH) so that one can draw an approximate picture for some of the aspects of social life during that period. Such a picture would help to know the material status of the people of that time. Likewise, the effect of Islam on women with regard to the acquisition of jewelry will be one of the concerns of this paper. For the purpose of the study, jewelry has been divided into five groups: ear jewelry; chest and neck jewelry; hand jewelry; feet jewelry and various kinds of other jewelry.